المحكمة

... فى الثامنة صباحا يتم ترحيل الطرابلسى من دائرة قسم التجمع الخامس فى سيارة الترحيلات والتى هى اشبه بصندوق من الحديد المحكم الغلق ولا يوجد به سوى شبابيك حديدية ضيقة المسام بالكاد تسمح بالتنفس والرؤية من خلالها ضعيفة جدا مرتديا سروال ابيض وكذلك جاكت بنفس اللون وهى الملابس التى يرتديه من هم فى الحبس الاحتياطى على ذمة القضايا ، يصعد إلي السيارة وكذلك معه شركاؤه الدكرورى ومصطفى الصاوى وحمزة الفقى وكذلك العمال جاسر والدهشورى وابو زيد وكذلك تم ترحيل سفيان معهم والذى كان هو اول الصاعدين الى سيارة الترحيلات ، ليغلق عليهم طاقم الحراسة باب السيارة وتنطلق متجهة نحو المحكمة التى لا تبعد سوى ثلاثة كيلومترات عن مقر دائرة قسم الشرطة، وفى داخل السيارة الجميع يتبادل النظرات الزائغة والوجوم يسيطر على الكافة ولا يوجد صوت سوى طاقم الحراسة داخل كابينة القيادة يتبادلون الحديث حول اجراءات التأمين، وما هى الا دقائق معدودة حتى وصلت السيارة إلي المقر الفسيح الخاص بمحكمة جنايات التجمع الخامس ، ليبدأ طاقم الحراسة فى انزال المتهمين واحدا تلو الاخر ، متجهين بهم صوب الطابق الاول حيث القاعة المخصصة لانعقاد المحاكمة ، ويتم ايداعهم بالقفص الحديدى المخصص للمتهمين .

... فى تمام الساعة التاسعة صباحا تنعقد هيئة المحكمة ، القاعة ممتلئة بالصحفيين ورجال الاعلام والمحامين وكذلك اسر المتهمين ومنهم سمية ومروان اولاد الطرابلسى وكذلك زوجته ووالد سفيان والكل يعتريه القلق والخوف مما هو ات ، وما ان دخل القضاة حتى نادى الحاجب بصوت جهورى " محكمة "

أخذ الجميع يشخص ببصره نحو القاضى مستمعا اليه بانصات ليرى ما ستسفر عنه تلك المحاكمة ، وبدأ القاضى فى النداء على المتهمين مبتدأ بسرحان الطرابلسى والذى اجابه بالحضور ثم سفيان والذى اجاب بالحضور ايضا وكذلك بقية المتهمين المصريين ، وعند النداء على المتهمين الاجانب لم يجب احد ، فجميعهم قد غادروا البلاد

ثم بدأ القاضى بتوجيه حديثه إلي سرحان الطرابلسى ، بانه متهم فى القضية رقم ٢٥٤ جنيات الجيزة حيازة وتهريب اثار سائلا اياه فيما هو منسوب اليه، ليلتقط محامى الطرابلسى طرف الحديث مطالبا القاضى بالحديث نيابة عن موكله، فيسمح له القاضى ويبدأ المحامى بمحاولة ابعاد التهمة عن موكله متهما (الدكرورى) الدى يعمل مع الطرابلسى بانه قام من تلقاء نفسه بالحفر والتنقيب دون علم موكله وهنا انتفض محامى الدكرورى نافيا ان يكون الدكرورى فعل ذلك من تلقاء نفسه ، وأخذ السجال يذور بين محامى الطرابلسى ومحامى الدكرورى وكلا منهما يحاول القاء التهمة على الاخر لينهى القاضى الحوار بينهما

دون تحديد ما اذا كان الدكرورى فعلها بتحريض من الطرابلسى ام من تلقاء نفسه ثم طلب القاضى من هيئة الفاع عن كلا من المتهمين الباقين عرض ما لديهم من دفوع ثم وجه القاضى الحديث لسفيان قائلا:

_ سفيان هل لديك محامى للحديث نيابة عنك

_ كلا سيدى القاضى سادافع عن نفسى بنفسى

_ حسنا ، ما قولك فيما هو منسوب اليك من المشاركة فى اعمال التنقيب عن الاثار وتهريبها إلي خارج البلاد ؟؟

__سيدى القاضى هذا الكلام به ماهو صحيح وبه ما هو غير صحيح وان سمحت لى هيئة المحكمة اوضح ما اقصد

__ تكلم

__ سيدى القاضى أما يخصنى انا تحديدا فى هذه القضية ، فهل انا انا كنت معهم فى التنقيب عن الاثارا نعم فهذا حدث ولكن ان سمحت لى هيئة المحكمة بشرح ما داعانى لذلك حتى تكون على بينة بالامر .

" اشار له القاضى بيده ان تكلم " وأخذ سفيان يشرح للقاضى الامر مند بدايته قائلاً :

... سيدى القاضى

.. مند نعومة اظفارى ومن بداية نشاتى وانا لم اعرف سوى حب تلك البلاد التى نشات فيها تلك البلاد ذات التاريخ والخيرات نعم لم يكن لى نصيب من تلك

الخيرات ولكنى كنت دوما أمنى نفسى بانى سأنال شيئا يوما ما جراء محبتى لتلك الارض ، فلقد عشقت تضاريسها ووعيت تاريخها .

... وهنا قاطعه القاضى قائلا :

-- وهل كل من لم ينل شيئا يبيع ويفرط ويترك نفسه للاهواء ، واين العلم واين التاريخ الذى درسته ووعيته

وهنا سريعا بادر سفيان بمقاطعة القاضى قائلا :

كلا كلا سيدى ، اما بخصوص التاريخ فالامر ليس كما تقول فمن المعلوم ان التاريخ دوما يكتبه الطرف المنتصر يملى رؤيته ويقر سطوته على الطرف الخاسر والمنكسر وما بين نصرة هذا وانكسار دالك تضيع الكثير من الحقائق والمعلومات البعض منها منها يطوى والبعض ينسى والكثير بالكلية يمحى ، ولا يتبقى لنا سوى شىء من حق قليل فكم بالتاريخ من جماعات جاهدت وناضلت وسميت فى التاريخ حركات وكم من رموز خانت وباعت ودونها التاريخ بانها للشرف علامات ، ان التاريخ بحاجة إلي غربلة إلي فرز إلي تمحيص حتى يمكننا فرز الغث من السمين ومن تكون له الريادة ومن يذهب إلي اسافله ، نحن اليوم نعيش فى فجوة حضارية بيننا وبين من كنا لهم نبراسا نعيش مرحلة سوء الاوضاع وتردى الاخلاق وانهيار القيم وتلك نتيجة منطقية لهده الحقبة الظلامية.

ولعل ابن خلذون لخص الامر قبل سبعة قرون حين قال:

" عندما تنهار الدول يكثر المنجمون والمتسولون والمنافقون والمدّعون .. والكتبة والقوّالون .. والمغنون النشاز والشعراء النظّامون .. والمتصعلكون وضاربو المندل.. وقارعو الطبول والمتفيقهون.. وقارئو الكفّ والطالع والنازل .. والمتسيّسون والمدّاحون والهجّاؤون وعابرو السبيل والانتهازيون.. تتكشف الأقنعة ويختلط ما لا يختلط .. يضيع التقدير ويسوء التدبير.. وتختلط المعاني والكلام.. ويختلط الصدق بالكذب والجهاد بالقتل .. عندما تنهار الدول يسود الرعب ويلوذ الناس بالطوائف.. وتظهر العجائب وتعم الإشاعة .. ويتحول الصديق إلي عدو والعدو إلي صديق.. ويعلو صوت الباطل.. ويخفق صوت الحق .. وتظهر على السطح وجوه مريبة .. وتختفي وجوه مؤنسة .. وتشح الأحلام ويموت الأمل .. وتزداد غربة العاقل وتضيع ملامح الوجوه .. ويصبح الانتماء إلي القبيلة أشد التصاقا .. وإلي الأوطان ضربا من ضروب الهذيان .. ويضيع صوت الحكماء في ضجيج الخطباء .. والمزايدات على الانتماء .. ومفهوم القومية والوطنية والعقيدة وأصول الذين .. ويتقاذف أهل البيت الواحد التهم بالعماله والخيانة .. وتسري الشائعات عن هروب كبير .. وتحاك الدسائس والمؤامرات .. وتكثر النصائح من القاصي والداني .. وتطرح المبادرات من القريب والبعيد .. ويتدبر المقتدر أمر رحيله والغني أمر ثروته .. ويصبح الكل في حالة تأهب وانتظار .. ويتحول

الوضع إلي مشروعات مهاجرين .. ويتحول الوطن إلي محطة سفر .. والمراتع التي نعيش فيها إلي حقائب .. والبيوت إلي ذكريات والذكريات إلي حكايات "

... سيدى لقد نشأت فى تلك البلاد والتى كانت لى هواء اتنفسه ، فقد نشأت فى اسرة فقيرة لاب وام يسعوا جاهدين ان يوفروا لى ما يلزمنى من رعاية وتعليم وبالفعل استطاعوا بشق الانفس ان يوفروا لى قدر من التعليم اتاح لى معرفة ما سبق وذكرته وقد تخرجت من الجامعة ولكنى ادركت شيئا فشيئا بانى لن انال شيئا واصبح حلمى ان اجد ما يسد الرمق ويغنينى شر السؤال ، فلم اجد فرصة للعمل وحين وجدت كانت لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ووسط كل تلك المأسى ظهر لى من يمد لى ذراعا لطالما انتظرتها طويلا ولكنها كانت ذراع الاخطبوط التى لفت حول قيمى ومبادئى وافترستها لاصبح له هدفا سهلا ، نعم لقد تنازلت عن مبادىء وما كنت اؤمن به ولكن قبل ان توجه اللوم لى سيدى القاضى وجه اللوم لمن تركنى فريسة لتلك اليد ، وجه اللوم لمن تذللت على ابوابهم اخبرهم ان لدى ما يجعلنا نتقدم للامام ولو بخطوة صغيرة وجه اللوم لمن اوصدوا فى وجهى الابواب حيت اخبرتهم بان لدى من المعرفة والعلم ما لا يعلمون ، سيدى القاضى انا لا اريد منكم تخفيف الحكم على او الغاءه بقدر ما انى اريد ان لا يقع احد فيما وقعت فيه ، ثم أخذت سفيان نوبة من البكاء لم يستطع مواصلة حديثة ، ثم رفع القاضى الجلسة للتدوال.

واذا بسمية تتجه نحو قفص الاتهام وتضع يدها على يد سفيان الممسكة بالقفص وهو لا يزال يجهش بالبكاء ، فرفع بصره واذا سمية مثله منهارة باكية ، فربت على يدها ولم تمر سوى بضع دقائق الا وعادت هيئة المحكمة للانعقاد والتزم الكل مكانه فى الجلوس وبدا القاضى يعلن الحكم .

لينال الطرابلسى وشركائة المصريين حكما بالمؤبد وكذلك حكما غيابيا بالمؤبد على الاجانب بالقضية ، وبقية رجال الطرابلسى من العمال عشر سنوات مع الاشغال ، ويحصل سفيان على سنة مع ايقاف التنفيد .

****

تمت بحمد اللّه